الطفل بين التبعية والاستقلال

د. بولجراف بختاوي*

د. عبد الغني فؤاد**

تمهيد:

من المعروف أن كل المجتمعات عبر أنحاء العالم على اختلاف درجة تقدمها ونموها تهتم بالخدمات المقدمة للأطفال اهتماما كبيرا.ومن بين الخدمات التي تسعى هذه المجتمعات إلى تقديمها للأطفال:الخدمات التربوية والتعليمية وذلك قصد إعداد النشئ إعدادا سليما يؤهله لأن يكون عضوا داخل مجتمعه.

ومن المعروف أيضا أن لكل مجتمع أسلوب في الحياة يميزه عن غيره من المجتمعات.والسبب في ذلك يرجع إلى اختلاف الثقافة من مجتمع لأخر . فثقافة أي مجتمع هي وجدانه وتراثه وماضيه وحاضره ومستقبله . فهي مجموع الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والمعايير الخلقية و الأدبية التي تسود في المجتمع والتي يظهر أثرها في كل شيء داخل هذا المجتمع ، ومن ذلك على الخصوص أساليب التربية والتنشئة التي ينتهجها الآباء في تعاملهم مع الأبناء . وتنتقل الثقافة إلى الأبناء عبر قنوات مختلفة قد تكون مباشرة ومقصودة كالأسرة والمدرسة ، وغير مباشرة كالإعلام والأنشطة الاجتماعية والثقافية وغيرها . وهكذا يأتي الطفل إلى هذا العالم ليجد حشدا كبيرا من المؤثرات في انتظاره تتضافر مختلف عناصرها على تنمية ثقافته وتشكيل شخصيته وفي مقدمتها: الأسرة، المدرسة ، والمجتمع .

ونكتفي هنا بالحديث عن الأسرة لأهميتها باعتبارها صاحبة الدور الأول والرئيسي في عملية التنشئة الاجتماعية المبكرة ولكونها الإطار العام الذي يحدد تصرفات أفرادها فيجعل منهم أفرادا يميلون إلى التبعية والخضوع والانصياع للقوالب الاجتماعية،أو على العكس ينمي لديهم الشعور بالمسؤولية والميل إلى الحرية والاستقلال وذلك بحسب الأسلوب العام الذي تنتهجه كل أسرة في التربية والتنشئة (١).

---

* قسم علم النفس وعلوم التربية كلية العلوم الاجتماعية – جامعة وهران الجزائر .

* قسم علم النفس وعلوم التربية كلية العلوم الاجتماعية – جامعة وهران الجزائر .

الأسرة:

هي الخلية الأولى والنواة الرئيسية لعملية التنشئة الاجتماعية، فعن طريقها يكتسب الأبناء المعايير العامة التي تفرضها أنماط الثقافة السائدة في المجتمع.والطريقة التي تقدم بها الأسرة هذه المعايير قد تعوق تكامل عملية التنشئة الاجتماعية للابن أو على العكس قد تسهلها.فذاك أمر يتوقف على أساليب الوالدين في التربية واتجاهاتهم في معاملة أبنائهم.ومن هنا تتضح أهمية دور الأسرة كمصدر للثقافة في تشكيل شخصية الطفل تشكيلا يشمل جميع جوانب الحياة، ذلك لأن الثقافة التي تقدمها الأسرة ليست ثقافة معلومات فقط،بل هي أيضا ثقافة أخلاقية تشكل وجدان الطفل وضميره،وثقافة سلوكية تبنى أساسا على تقليد الطفل لمن يعتبرهم قدوة له، وثقافة اجتماعية تتشكل من العلاقات التي ينسجها مع الأقارب وكل من له علاقة بالأسرة. فثقافة الوالدين إذن تشكل نقطة مركزية في تنشئة الطفل وبناء شخصيته بناء سليما.

ومن ثم فإن تأثيرها لا يتوقف أبدا على الفترة الزمنية التي يقضيها الوالدان مع طفلهما فحسب، بل أيضا على نوع هذه الثقافة ومدى تشبعها بمشاعر التقبل والود والدفء والحنان، أو على العكس من ذلك بمشاعر العنف والقهر والتسلط. وبغض النظر عن المحتوى ألقيمي للثقافة التي تنقل إلى الطفل فإن لأساليب المعاملة التي يتبعها الوالدان لنقل هذه الثقافة دورا كبيرا في تحديد شخصية الطفل وطبعها بطابع الشخصية الاعتمادية أو الشخصية الاستقلالية (٢) .

ويعرف الباحثون (٣) المعاملة الوالدية بأنها كل سلوك يصدر عن الوالدين أحدهما أو كليهما يؤثر في الطفل وفي نمو شخصيته سواء أقصد بهذا السلوك التوجيه والتربية أم لا.أو أنها أساليب المعاملة التي يسلكها الوالدان مع أبنائهما أثناء الأوضاع المختلفة التي تحصل في الحياة داخل المنزل أو خارجه والتي يكون الطفل طرفا فيها وتتنوع هذه الأساليب والممارسات من حيث نوعيتها وأثارها في تنشئة الأبناء تبعا للأوساط السوسيو اقتصادية والثقافية للوالدين.فمن هذه الأساليب ماهي ايجابية تتوخى التشجيع والتعاطف والتسامح ومنها ماهي سلبية تتسم بالتسلط والتشدد والقسوة. وفي هذا السياق فإن السؤال الجوهري الذي يطرح نفسه هو:أي أساليب المعاملة الوالدية أكثر تأثيرا في تحقيق نماء الشخصية وتطورها؟ أهو أسلوب المعاملة التسلطية أم هو أسلوب المعاملة التسامحية المعتدلة ؟ بصورة أخرى أيهما أفضل أن نربي الابن على الطاعة والتبعية، ونجعل منه إنسانا منصاعا ومنفذا لكل الأوامر، أم أن نربيه على التفرد والاستقلال،والتمرد على النمطية وقوالب الطاعة،ونجعل منه شخصا معارضا

ومناقشا لكل أمر يلقى إليه؟ هذان رأيان متناقضان نحاول وضعهما على كفة الميزان ثم نرى أي منهما سترجح الكفة لصالحه؟.

بالنسبة للرأي الأول أي أسلوب المعاملة التسلطي،فهو أسلوب تربوي يقوم على مبادئ الإلزام والإكراه والإفراط في استخدام السلطة في تربية الأطفال وتنشئتهم، ويرتكز على مبدأ العلاقة العمودية بين الآباء والأبناء.وتأخذ هذه العلاقة صورة العنف والقهر بأشكاله النفسية والفيزيائية والجسدية (٤) ، ويعمد الآباء إلى استخدام وسائل القهر والتشدد والصرامة في تربية أبنائهم وهي طريقة ربما يكون هؤلاء الآباء قد ورثوها عن آبائهم عن طريق المحاكاة والتقليد.ووفق هذا المنطق فقد يسلم كل جيل للجيل الذي يليه ما ورثه من أساليب القهر والتسلط التي تلغي استقلال الطفل وحريته. وليس هناك أدنى شك في أن الوالدين اللذين تربيا في قالب اجتماعي يمجد الطاعة والخضوع للتقاليد والعادات المترسخة ويجرم الرفض لهذا القالب والتمرد عليه، أن ينتهجا أسلوبا آخر في التربية عدا الأسلوب الذي يحث على الطاعة والانصياع وتكبيل حرية الطفل برادع الخوف والقهر النفسي، وتحديد سلوكه على وفق ما يحبانه وما يكرهانه. وخوفا من مشاعر الغضب وعواقبه غالبا ما يتقمص الطفل هذه الطاعة العمياء ويقبل الدخول في قالب المجتمع بمنتهى السماحة والرضى. ويستخدم الآباء في إطار الأسر المتسلطة أساليب تتدرج من أقصى الشدة إلى أدناها في تربية أطفالهم. وينطوي الاتجاه التسلطي في التربية على مجموعة من الأوامر والنواهي والتعليمات الصارمة التي تفرض على الأطفال والناشئة في داخل الأسرة، ويترتب إنزال العقاب على كل من تسول له نفسه التمرد على هذه الأوامر والنواهي. كما لا يسمح للأبناء داخل الأسرة المتسلطة بإبداء آرائهم أو توجيه انتقاداتهم، وإن حدث ذلك فإن هذه الآراء والانتقادات قد تعرضهم لوابل من المضايقات والزجر والحط من منزلتهم بين من هم حولهم، الشيء الذي يعوق رغبتهم في التحرر والاستقلال ولا يترك لهم بابا آخر غير باب التبعية والانصهار في القوالب الاجتماعية المترسخة. غير أن هذا لا ينسحب على جميع الأسر والحالات التي تمارس العنف والتسلط. فقد يحدث أن يوجد أفراد يتميزون بالانفتاح والتحرر وهم ينحدرون من أسر محافظة تنتهج أسلوب الحزم والتقييد لضبط الأبناء. ويوجد أفراد تقليديون خاضعون تماما للعرف والتقاليد الاجتماعية وهم ينحدرون من أسر تتوخى التساهل والتسامح في التربية.

وهذه الحالات قد يكون السبب فيها الثورة والتغير الفجائي في موقف الطفل جراء قناعات ترسخت لـــــــديه أو نتيجة علاقات نشأت بينه وبين أشخاص خارج إطار الأسرة (٥).

إن هذه الثقافة المبنية على القهر والتسلط في التربية وإن كانت تفرض على الأطفال فرضا،فإن هذا لا يعني تقبل هؤلاء لها دون مقاومة ومراجعة.

فالأطفال يقاومون هذا الأسلوب في التربية في كل مرحلة من مراحل حياتهم وإن كانت هذه المقاومة تتخذ أشكالا مختلفة تتماشى مع سن الطفل ومرحلة النضج التي بلغها.

فالطفل في سن الثالثة من عمره يعبر عن رغبته في الاستقلال بشكل واضح، وتتجلى هذه الرغبة في محاولات الطفل الصغير التحكم في حركاته وتنقلاته بعيدا عن كل رقابة ومتابعة. ومع تقدمه في النمو تكتسب هذه الرغبة قوة متزايدة ومتصاعدة تعكس المستوى الذي وصل إليه الطفل من حيث قدرته على ممارسة هذه الرغبة في الاستقلال تخطيطا وتنفيذا. ويعبر الطفل عن رغبته هته بقيامه ببعض الأفعال ثم التصدي بقوة لكل من يحاول من الكبار منعه من هذه الأفعال. وقد يتمادى الطفل في مقاومته لكل الضغوطات التي تمارس عليه،وفي تمرده على كل من يحول بينه وبين تطلعاته إلى التحرر والاستقلال وخاصة الوالدين. ومع مرور الزمن يتعود على هذا التصرف فتأخذ المسألة شكل عناد دائم. وقد يقع الوالدان فريسة نفاد الصبر والضيق من عناد الطفل فيقابلانه بعناد أكبر وبإلحاح في الأوامر والنواهي، ويستمر الصراع بين الطفل ووالديه مدة أطول وينتهي بانهزام الطفل فيدفن في أعماقه هذا الإحساس بالهزيمة ويتحول إلى شخص سلبي يغلب عليه طابع المنافسة والاحتجاج.

وعندما يكون الطفل بين عامه الثالث والسادس يظهر لديه صراع آخر كما تؤكد ذلك النظرية الفرويدية (٦) حيث يدخل الولد في منافسة مع والده والبنت مع والدتها. ومع التقدم في العمر يكتشف الطفل أن هذه المنافسة لا تجدي نفعا، فيراوده الإحساس بأنه مظلوم في هذه المنافسة فيكبت هذا الإحساس بالظلم ليظهر في شكل تمرد وعصيان لدى الكثير من الأطفال خلال مرحلة المراهقة. في هذه المرحلة من الحياة يحاول المراهق بعد أن يكون قد استفاد من تجاربه السابقة في مراحل النمو المختلفة التي مر بها سابقا، أن ينحو بنفسه من تبعيته لأبويه واعتماده الكلي عليهما، وأن يحدد ملامح شخصيته كشخص مستقل قادر على أن يكون مسؤولا عن نفسه مسؤولية تامة، وأن يكون حرا في اختيار عمله،وفي اختيار زوجته،وحرا في تكوين وجهة النظر التي يراها في الحياة. وقد يصل الأمر به إلى إبداء مشاعر الغضب والثورة نحو مصادر السلطة كلها في الأسرة والمدرسة والمجتمع فيبدأ يناقش وبمنتهى العنف كل آراء الوالدين وغيرهم ممن يشرف على تربيته، بل ويناقش وبمنتهى الحدة كل المثل العليا التي يقدمها المجتمع، فيلغي بذلك المرجعية التقليدية في حياته والممثلة في

الوالدين والمجتمع. وقد تستفحل هذه الألوان السلوكية وتتحول إلى وسائل انتقامية موجهة ضد المجتمع فيؤدي به ذلك إلى هاوية التمرد والانحراف السلوكي والجنوح(٧) .

وبشكل عام يمكن القول بأن هذه الأساليب في التربية أو الممارسات التي تتميز بتسلط الوالدين وسيطرتهم وما يواكب هذا من أساليب الحرمان والصرامة والقسوة هي ممارسات أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها تؤدي إلى هدم شخصية الطفل واغترابها. (٨) فالميل إلى استخدام أسلوب القسوة والصرامة في معاملة الطفل يترك أثارا سيئة في شخصية هذا الأخير ونفسيته. فالطفل الذي يترعرع في كنف هذا الأسلوب القاسي يتميز بشخصية ضعيفة من أبرز سماتها الشعور بالدونية وفقدان الثقة بالنفس وانعدام الإحساس بالمسؤولية والاستقلالية،وأيضا الافتقار إلى مقومات الشخصية السوية القادرة على التكيف الجيد ومواجهة مشاكل الحياة بشتى مظاهرها ومختلف تحدياتها.

أما بالنسبة للرأي الثاني،أي أسلوب المعاملة المعتدلة الديموقراطية فهو أسلوب يلغي مبدأ العلاقات العمودية بين الآباء والأبناء، ويقوم على مبادئ الحب والتعاطف والتعزيز والدعم والمساندة والمشاركة في العملية التربوية. هذه التربية التي تتنافى مع كل أشكال الإلزام والإكراه والإفراط في استخدام السلطة في التعامل مع الأطفال، وتسقط فيها الحدود النفسية الصارمة القائمة بين الآباء والأبناء.فالآباء في الأسرة التي تتبنى التعامل الديموقراطي في التنشئة يعتمدون أساليب التبصر والتفهم التربوي العميق لطبيعة الأطفال ومشكلاتهم، ويتبنون المبادئ التربوية الحديثة التي تجعل من الطفل مركز العملية التربوية وغايتها، وتعتمد مبدأ النمو الذاتي الحر والطبيعي للطفل وتأخذ في الحسبان خصوصية الطفل النفسية والجسدية.وتقوم التربية الديموقراطية على مجموعة من المبادئ أهمها: (٩)

- **مبدأ المسؤولية:** يمنح كل فرد من أفراد الأسرة وفق هذا المبدأ الإحساس بالمسؤولية. فللآباء مسؤولية اتجاه أفراد العائلة سواء في مجال التربية أو في مجال توفير العيش اللائق،وللأبناء مسؤولياتهم في بعض الجوانب. فلكل فرد من أفراد العائلة دور يقوم بتأديته تبعا لمسؤوليته هذه .وهذا يعني أن تصرفات الإنسان داخل الأسرة الديموقراطية هي تصرفات ذاتية تصدر عنه بمحض إرادته بعيدا عن كل أشكال الإلزام والقهر مما يؤدي إلى إنتاج شخصية أكثر ثقة بالنفس وأكثر قدرة على التفوق والابتكار.

- **مبدأ الحرية:** إن الإفراط في الرعاية الو الدية وفي إخضاع الطفل لقواعدها قد يؤدي به إلى التقيد بحدود هذه الرعاية كما يؤدي به إلى الجمود ويحول بينه وبين المرونة التلقائية والاعتماد على النفس وممارسة الاستقلال والحرية وخاصة منها الحرية النفسية. أي أن يترك للطفل حرية التكون النفسي والاستقلال السيكولوجي وفقا لمعايير موضوعية تتعارض مع كل صيغ العنف والقسوة، وتتعطل فيها أساليب القمع والتخويف والتبخيس وأحكام الدونية. (١٠)

- **مبدأ الحوار:** يعد مبدأ الحوار المبتدأ والخبر في التربية الديموقراطية،وهو الحوار الذي يقوم على مبدأ التهذيب وحرية النقد وإبداء الرأي بعيدا عن أساليب القهر والزجر وأساليب الحرمان المختلفة، مما يدفع بالطفل إلى مزيد من النمو والعطاء نفسيا وعقليا وإلى أن ينحو بشخصيته نحو السواء.

- **مبدأ الحب والمودة:** الحب عامل ازدهار وصيرورة إنسانية ومن دونه تصبح حياة الإنسان جحيما يقتل فيه مكامن الإبداع والعطاء. إن التربية الديموقراطية تنشد الحب الشامل وتنميه في قلوب الأطفال وتحيطهم به بلا حدود لأنه يشكل الركن الأساسي في العملية التربوية. فالأطفال الذين عاشوا في بيئات متحررة وفي ظل رعاية والدية تتسم بالتسامح والود يظهرون درجة عالية من المشاعر الايجابية اتجاه الآخرين وهم أقل عدوانية وتوترا من أولائك الذين تعرضوا للقسر التربوي وللشدة في تنشئتهم الاجتماعية .

وتشير البحوث والدراسات الانتربولوجية إلى أهمية الأسلوب الديموقراطي في تربية وتنشئة الأطفال. وقد بينت الدراسات(١١) الجارية في هذا الميدان تسع خصائص أساسية تعززها التربية المتسامحة يقابلها تسع خصائص تعززها التربية المتسلطة نذكر بعضها فيما يلي:

- **الاستقلال والتبعية:** إن أساليب المعاملة الوالدية المتسلطة تعوق فرص الأبناء في الاستقلال والتحرر،في حين أن أساليب المعاملة الديموقراطية المعتمدة من طرف الآباء تساعد الأبناء في التحرر من الاعتماد الطفلي ومن التبعية والخضوع وتحقق لهم قدرا كبيرا من الاستقلال النفسي(١٢).

- **ضبط الذات والاضطرابات الانفعالية:** كلما تدرج الأطفال في سلم الانتماء إلى أسر متسامحة كلما ارتفع مستوى ضبط الذات لديهم، وعلى خلاف ذلك يبدي الأطفال الذين عاشوا في بيئة متصلبة عجزا كبيرا على تحمل الصدمات الإحباطية والاضطرابات الانفعالية الأخرى.

- **الإبداع والتوافقية:** يرتفع مستوى الإبداع لدى الأطفال الذين ينتمون إلى عائلات متسامحة ومعتدلة بينما ينخفض مستواه لدى الأطفال من عائلة متصلبة.

- **المواظبة والإحباط:** يظهر الأطفال الذين عاشوا في بيئة ديموقراطية طاقة أكبر في مجابهة المشكلات وعدم الاستسلام للمواقف الصعبة،في حين يكون التراجع إزاء المواقف الصعبة سيد الموقف لدى الأطفال الناشئين في بيئة قاسية.

- **الاندفاع الايجابي والجمود السلبي:** يتميز أطفال الأسر المتسامحة بالسلوك الايجابي وبالحيوية والنشاط في مختلف مجالات الحياة.وعلى خلاف ذلك يظهر على الأطفال ذوي التربية الصارمة المتشددة حالة من الجمود السلبي وهم أكثر ميلا إلى التداعي والكسل والابتعاد عن كل المناشط الايجابية.

- **النزعة الاجتماعية والميل إلى العزلة:** الأطفال الذين يعيشون في أجواء أسرية يسودها التسامح والتفاهم والحرية في التربية يبدون نزعة كبيرة إلى المشاركة في الحياة الاجتماعية والتكيف معها،وهذا على عكس الأطفال الذين ينحدرون من بيئات متسلطة حيث تكون العزلة الاجتماعية والانطوائية من السمات السائدة لديهم.

- **الإحساس بالأمن والإحساس بالقلق:** يبدي أبناء الأسر المتسامحة إحساسا متعاظما بالأمن والاستقرار، وعلى خلاف ذلك يشعر أبناء الأسر المتسلطة بالقلق والتوتر.

- **الحزن والفرح:** هناك ترابط كبير بين أجواء التسامح الأسرية وميل الأطفال إلى الإحساس بالسعادة والفرح، في حين يشعر أطفال الوسط المتصلب بمزيد من مشاعر الإحباط والفشل والشقاء والحزن.

يتضح مما سبق أهمية الأسلوب الديموقراطي في التربية، ومن المفيد في هذا السياق استعراض بعض الدراسات التي رصدت هذه الأهمية.وتأخذ دراسة جون اندرسون (١٣) John Anderson حول الأنماط السلوكية عند الآباء والأبناء مكانها الطليعي بين الدراسات التي أجريت في هذا الميدان. فقد طلب اندرسون من عينة من الأطفال تحديد أسلوب التربية السائد في أسرهم، ثم طلب من زملاء الأطفال ومعلميهم تقييم سلوك كل طفل من أطفال العينة.وأسفرت النتائج على أن الأطفال الذين وصفوا أسرهم بالقهر والتسلط وصفوا من قبل زملائهم ومعلميهم بأنهم مشاكسون وعصبيون وعدوانيون. أما الأطفال الذين وصفوا أسرهم بالتسامح والتفاهم وصفوا بأنهم متعاونون ومبتهجون وعلى درجة عالية من الثقة بالنفس.

ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى دراسة دونوفان F.Donovan (١٤) التي بين فيها أن الأطفال الذين يتلقون مزيدا من الأوامر الوالدية والذين يعانون من تدخل ذويهم المستمر يميلون إلى العدوان بدرجة أكبر من الأطفال الآخرين، ويظهرون مزيدا من السلبية وقليلا من روح المنافسة. وعلى خلاف ذلك فالأطفال الذين يعيشون داخل أسر متسامحة كانوا أكثر نشاطا وفعالية وكانوا أكثر توافقا من الناحية النفسية والاجتماعية.

ومن الدراسات الهامة في هذا الموضوع أيضا دراسة بالدوين(١٥) Baldwin الذي أجراها على عينة من ١٢٥ طفلا ووجد أن الأطفال الذين ينتمون إلى أسر ديموقراطية يتميزون بدرجة عالية من التوافق الاجتماعي ومن النزعة إلى الزعامة والتخطيط وحب السيطرة،وأن الأطفال الذين ينتمون إلى أسر تسلطية يميلون إلى العصيان والعدوان،ويعانون من السلبية ومن انخفاض مستوى الطموح والقدرة على التكيف مع الآخرين.

وهذه الرؤية تبدوا واضحة في النتائج التي توصلت إليها دراسة بييرتاب(١٦) Pierre Tap الذي توصل من خلالها إلى أن الأطفال الذين ينتمون إلى أسر متسلطة كانوا أكثر تأدبا وخضوعا، ولكنهم كانوا أكثر عدوانية وخجلا وانغلاقا على الذات، وميلا إلى الانقياد وأكثر تعرضا للاضطرابات النفسية.وفي مقابل ذلك اتصف أبناء الذين يعتمدون الديموقراطية كأسلوب للتربية بأنهم أقل عدوانية وأقل ميلا للاذعان، وأنهم أكثرثقة بالنفس وأكثر قدرة على التعبير،وأكثر ميلا إلى الحرية والاستقلال.

بناء على ما أشارت إليه نتائج هذه الدراسات وهي نتائج تتفق مع نتائج أغلب الدراسات التي تناولت قضية التسامح والتسلط في العملية التربوية يمكن القول أن الرعاية الوالدية التي تشتمل على علاقات المودة داخل إطار ديموقراطي، وعلاقات القبول والاهتمام والتبادل الانفعالي والوجداني، وغياب التسلط والقهر تؤدي إلى تعزيز متغيرات بالغة الاتساع والشمول لدى الأبناء مثل الثقة بالنفس، والإبداع، وتقدير الذات،والتوافق النفسي والاجتماعي وغيرها من المتغيرات الايجابية الأخرى.وعلى خلاف ذلك فإن الرعاية الوالدية التي تعتمد أساليب التنشئة الاجتماعية غير السوية مثل الحماية الزائدة، والتدليل والتسلط والقسوة والإهمال والتذبذب في المعاملة تنتج شخصيات اغترابية ضعيفة،وتدفع الفرد إلى دوائر الجمود والانصياع والسلبية.

خــــــلاصة

إن السؤال حول طريقة تربية الأبناء، هل ندخل الابن في قالب معد ونربيه على التبعية، أم أن نجعل منه باحثا عن التفرد ونربيه على التحرر والاستقلال؟ الإجابة عليه لا يضعها الآباء وحدهم وإنما يضعها معهم الآخرون أيضا. ولا أحد يستطيع أن ينكر أنه ليس باستطاعة أحد كما يذهب إلى ذلك سيوك (١٧) أن يخلق ابنا مصبوبا في قالب أو ابنا متميزا متحررا. فكم من أب نشا في قوالب اجتماعية محددة وصارمة أنجب ابنا متمردا ومتحررا غصبا عنه، وكم من أب عاش رافضا للقوالب الاجتماعية متمردا عليها أنجب ابنا متحمسا لهذه القوالب مقبلا عليها.صحيح انه بإمكان الآباء أن يضعوا قواعد أساسية ويحددوا إطارات محددة ومعقولة لسلوك الأبناء. وقد يستجيب الأبناء لهذه القواعد والإطارات ويسيروا على الطريق الذي رسمه لهم الآباء شرط أن يتم ذلك بصداقة ورضى وباحترام تام لرغبة الأبناء في الاستقلال والتحرر. لكن لا أحد ينجح في إكراه الابن وإجباره على أن يكون مثل ما يريد هو أن يكون إلا إذا أراد الابن ذلك.

إذن على الأب أن لا يقع في خطأ إصدار الأوامر إلى ابنه بصورة جافة وبكبرياء،وأن لا يجعل منه آلة مطيعة ويجمده في قوالب خانقة تقيد فيه كل شيء، بل عليه أن يتعامل معه على أنه شخصية مستقلة وأن يتحدث إليه كإنسان جدير بالاحترام والتقدير،وهذا من شأنه أن ينمي فيه الإحساس بالمسؤولية والكرامة ومعرفة الصواب من الخطأ . وبصورة عامة يمكن القول أن أساليب التنشئة الأسرية التي تعتمد الإسراف في استخدام الشدة والقسوة تؤدي إلى بناء شخصيات جامدة غير متكاملة،وكلما اتجهت هذه الأساليب نحو اعتماد المنطق العلمي في التنشئة ومعاملة الأبناء معاملة أساسها الفهم والتسامح والاحترام كلما كانت أكثر قدرة على بناء شخصيات سليمة متكاملة.

المــــــــراجع

١- سعيد محمد عثمان، الاستقرار الأسري وأثره على الفرد والمجتمع.مؤسسة شباب الجامعة .الاسكندرية٢٠٠٩.

٢- زايد الحارثي، بناء الاستفتاءات وقياس الاتجاهات،دار الفنون للطباعة والنشر، جدة ١٩٩٢

٣- الكفافي علاء الدين، التنسئة الاجتماعية والأمراض النفسية،دار هجر للطباعة والنشر،١٩٨٩.

٤- كافية رمضان ،أنماط التنشئة الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي، حولية كلية التربية،السنة السابعة، العدد٧،١٩٩٠.

٥- د- سيوك،حديث إلى الأمهات مشاكل الآباء في تربية الأبناء،ترجمة منير عامر،دار الفارس للنشر والتوزيع ،الأردن ٢٠٠٤.

٦- فرويد سيجموند ،الكف والعرض والقلق،ترجمة محمد عثمان نجاتي،بيروت دار الشروق ١٩٨٨

٧- د سيوك-المرجع السابق

٨- رحمة انطوان، أثر معاملة الوالدين في تكوين الشخصية،رسالة ماجستير،مطبعة الحياة،دمشق،١٩٦٥.

٩- علي أسعد وطفة، السمات الديموقراطية للتنشئة الاجتماعية في المجتمع الكويتي المعاصر مجلة دمشق للعلوم التربوية ٢٠٠١ ص ٢١١

١٠- ممدوحة سلامة ، مخاوف الأطفال وادراكهم للقبول والرفض الوالدي، مجلة علم النفس، الهيئة العامة للكتاب العدد١٩٨٧.٢.

11- Frank R.Donovan Education Stricte ou education libérale, Robert laffon,paris 1968.

١٢- محمد نصر،الاستقلال النفسي عن الوالدين وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية،العدد٢،٢٠٠٤.

13- J.Anderson,Dynamics of developement,systems in pragress,In progress,In D.B HVIS.ED;paris 1975.pp-25-46.

14- F.Donovan,Education stricte ou education libérale.ROBERT LAFFON ,paris,1968.

15- Baldwin.A,L.patterns of parent Behavior,psycho Monogr,1945N°268.

16- pierre.Tap,la socialisation de l'enfance à l'adolescence ; puf,paris 1991.

١٧- د.سيوك المرجع السابق .